

في نور محمّد فاطمة الزهراء

اللوحة السابعة الحسن والحسين نجان نيّران كانت رحمة ربك أرفق بالزهراء من لين الأيام. فالأمن رحمة، والحكمة رحمة... ولكن الصبر رحمة الرحمات. ولقد أُوتيت فاطمة من رضا الله ما احتوى كلّ رحمة ربانية، تشدّ الفكر، وتضيء الوجدان، وتعلو بمقامها في العالين فوق كلّ مقام. وإذا كانت - كما تبدّت في عين الدنيا - أليفة أسيّ وشجن، وحليفة همّ وألم، فإنّها - باللفظ الإلهي - لم تكن دائماً لقيّ بين يدي محن الأكدار، يتنقّل من غيض البسمة، إلى سخونة العين، إلى شرود البال... ثم يكرّ عوداً على بدء ليخطو من جديد على طريق شجنها الطويل. فمن خلال سحائب الحزن المتراكم، وعتامة الرؤية: الحسيّة أحياناً، النفسية أحياناً، كانت رحمة الرحمن تبعث بشعاعة بارقة، تضيء من حولها جوانب من أُنق الحياة المتجهّم [1223]، الذي سرحت طلاله الداكنة على النور، وبدت شمس كأنّها غاصت نهارها كلّها في عتمة الكسوف. وعلى فترة من معاناتها المتصلة على امتداد عمرها الدنيوي القصير، كانت تظهر لها لمحات مشرقة من الراحة والأمل والسكينة، تغسل نفسها بالبشر والفرح والابتهاج.